

القصيدة البصرية العربية بين التعبير اللغوي و الإبداع التشكيلي

الباحث والفنان / شوقي عزت



مقدمة

شهدت أوروبا لقرون طويلة نهضة مزدهرة مع مجيء العرب إلى بلاد أسبانيا ابتداءً من عام 711 ميلادية حيث كان الجزء الأكبر من أوروبا يذوب في ظلال الجهل والتخلف الإقتصادي والإجتماعي. ومع ازدهار الحضارة العربية والإسلامية انتشر تعليم الإسلام في مدن اسبانيا وأصبحت العقيدة الإسلامية ليست كعقيدة دينية فحسب وإنما كشریان حياة تدفقت منه الثقافة والفنون والعلوم والفلسفة استمر ازدهارها حتى بعد سقوط الأندلس عام 1439، كما كان لها أثراً ملموساً على عصر النهضة الأوروبية.

ازدهرت الحضارة العربية والإسلامية في بقعة شاسعة من العالم، من بلاد المغرب و اسبانيا غرباً إلى بلاد فارس و إندونيسيا حتى الصين شرقاً.

كانت الأندلس في الغرب كمنارة للعلم والفنون، و كانت بغداد في الشرق مدينة السلام و مركزاً مزدهراً للصناعة والزراعة والتجارة والعلوم، كما كان لها امتداداً متألفاً امتد تأثيره إلى الشرق الأقصى حتى الهند والصين وإندونيسيا، و إلى الشرق الأوسط حتى دمشق والقاهرة و سمرقند، و غيرها من مناطق متفرقة في جنوب أوروبا.

بالرغم من أن الحضارة العربية والإسلامية امتدت في منطقة واسعة، و بالرغم من تأثيرها وتأثرها بفنون الشعوب التي مرت عليها إلا أن فنونها و عمارتها تميزت بالتوحد فتألفت شكلاً و مضموناً، و ما ليس شك فيهما أنها انبثقت من دعوة التأمل في خلق السموات والأرض، مما اكتسبت سمة التأمل الروحي و التفكير العقلي اللذان تميزت بهما العقيدة الإسلامية، و على هذا نتج عنها سمات تشكيلية و هي التكرار و التماثل و الإنعكاس، و هي سمات استطاع الشاعر و الفنان أن يعبرا بهما عن محاكتهما مع الذات الإلهية و فلسفتها في الحياة حيث يعبر التكرار عن اللانهاية التي تتميز بها الذات الإلهية، و يعبر التماثل عن فكرة التخلق و الإنقسامات الطبيعية، و يعبر الإنعكاس عن فكرة التواصل الإلهي و الإنساني معاً،

و لقد تأثرت الحضارة الغربية بالحضارة العربية و الإسلامية تأثراً ملموساً، فبينما كانت تسير الحضارة العربية و الإسلامية مزدهرة في منطقة الأندلس، انتبه إليها أهل شمال أوروبا في رهبة، و طال بهم التحديق باحثين عن سر إعجوبة إزدهار الأندلس العربية، مما دفعهم ذلك لدراسة السحر، و استمر البحث حتى اكتشفوا أن كلمة (إقرأ) المدرجة بأول سورة في القرآن الكريم كانت هي الكلمة التي أتت بالمعجزة اللغوية الكبرى إلى المسلمين، كما تيقنوا أن اللغة العربية ذاتها هي اللغة الساحرة التي أوحى للمسلمين بحضارتهم المتألقة، و ذلك لكون اللغة العربية لغة مقدسة انتقل بها القرآن الكريم من أعالي السماء إلى الماديات في الأرض، و لا شك أنهم

تيقنوا أن اللغة العربية ذاتها و ما يحتويه القرآن الكريم من آيات كانت سببا في ازدهار هذه الحضارة العربية و الإسلامية

و لقد اخترنا القصيدة البصرية العربية في بحثنا هذا كأحد فروع الفن العربي و الإسلامي حيث تتناص فيها اللغة العربية مع التشكيل الفني، و لقد اخترناها لكونها ذات أهمية في تنمية الثقافة و الفكر الإنساني و ذات أهمية لنهضة التذوق الفني قديما أو حديثا أو في المستقبل.

و كانت الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي:

أولا : توقف تطور إبداع القصيدة البصرية العربية تشكيلا إبان ازدهار الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس.

ثانيا: اقتصار إبداع القصيدة البصرية لغويا على الشاعر فقط.

ثالثا: صعوبة العثور على نماذج توثيقية كافية مما تسبب عنه صعوبة معرفة مدى أبعاد القيمة الجمالية للقصيدة البصرية العربية، و كذلك صعوبة معرفة معاييرها الفنية، مما أدى ذلك إلى غيابها كأعمال فنية في الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة.

و لقد أمكن لنا التغلب على هذه الصعوبات بالبحث في مجال القصيدتين العربية و الغربية، و مشاهدة العديد من القصائد البصرية العربية و القصائد البصرية الغربية، و استطعنا خلال تجربتنا التشكيلية (كفنان تشكيلي) أن نبحت في مكونات و عناصر القصيدة البصرية تشكيلا و لغويا و مزجنا ما حصلنا عليه من نتائج تشكيلية و لغوية بأن ندمجها مع فكرة التكرار و التماثل و الإنعكاس الذي يتميز بها الفن الإسلامي و مزجناها مع علاقات تشكيلية استوحيناها من الفن الكونكريتي الغربي التي هي في الأصل لا تبعد عن سمات التكرار و التماثل و الإنعكاس، و أعدنا صياغتها بأسلوب فني معاصر.

و لموضوع البحث أهمية عظمى تبدو من نواحي متعددة أبرزها التعريف بالقصيدة البصرية العربية و

القصيدة البصرية الغربية و معاييرهما الفنية و الجمالية.